



تقدم علوم الطب

— ٢ —

للككتور سريف عسيرانه

صدر حديثاً كتاب علمي جليل من أتمس الكتب الطبية موضوعه «تقدم العلم»
ودجت أعلام أئمة علماء الانكيز في هذا العصر أمثال السر جيزر والسروليم براج
وهالين وهكسلي وابنتن . وقد نشر فيه الدكتور ادورد ملاني فصلاً قيسياً عن تقدم
علوم الطب في قائمة للاعباء ومامة الناس . فنقله ليضع به الناطقون بالفضل :

ولنتعرض الآن بعض نتائج انهجار هذا النشاط الطبي الذي تدل عليه زيادة التبعات
الطبية وانتشار المؤسسات الكثيرة . وخير طريقة لتلك مقابلة معدل الولادات والوفيات
الناشئة عن الامراض النوعية . بلغت وفيات الاطفال دون السنة من العمر بين سنة ١٨٩٦ — ١٩٠٠
١٥٦ بالالف بينما سقطت سنة ١٩٣٤ الى ٥٩ بالالف وبلغ معدل وفيات الرجال بسن ٤٥ — ٥٠
(٢٠٣) بالالف سنة ١٨٧٠ — ١٨٧٥ وهبط سنة ١٩٢٦ — ١٩٣٠ الى ١١٧ بالالف
وهبطت وفيات السل الرئوي من ٣٤٧٨ بالمليون بين سنة ١٨٥١ — ١٨٦٠ الى ٧٤٠ بالمليون
سنة ١٩٣٤ ونقصت وفيات السعال الديكي من ٥١٠ بللبورت سنة ١٨٧١ — ١٨٨٠ الى
٥١ بالمليون سنة ١٩٣٤ والحصبة من ٣٨٠ الى ٩٣ بالمليون والتيفوئيد من ٣٢ الى ٤ بالمليون .
وقد هبط معدل اكثر الوفيات المذكورة في القرن الحاضر . أما السل فقد بدأت تناقص وفياته منذ
ما يقرب من مائة سنة . فاذا أخذنا هذه الارقام مقياساً أدركنا المدى الواسع الذي تقدمت فيه
الصحة العامة خاصة في الثلاثين السنة المتأخرة

وهناك طرق أخرى غير المذكورة تؤدي الى نفس النتيجة اي تحيين الصحة العامة . صحيح
اننا خطونا خطوات كبرى في تشخيص الامراض والوقاية منها وطرق معالجتها ولكن مما لا ريب

فيه ان طائفة من الامراض ثلاثت لاسباب لا علاقة لها بالطرق المذكورة وتذكر على سبيل المثال ان وطأة الامراض حقت لاسباب لم تخرج عن حد النطن كداء النقرس (gout) الذي كان كثير الانتشار منذ مائة سنة فأصبح الآن نادراً ولا يعلم أحد سبب فلقه. ويظن البعض ان سبب ذلك هبوط التسمم بالرصاص. ومن الامراض التي قلت في اثنتي عشرة سنة لمرض الاخضر Chlorosis^(١) وهو ضرب من فقر الدم يصيب النساء. فذ ٢٥ سنة كانت المستشفيات تخرج بالفتيات المصابات بهذه العلة. أما اليوم فقل من يمرضها من الاطباء لندرتها. ويرغم البعض ان سبب تلاشيها اقلع النساء عن لبس المشدات ولكن هذا الرأي مجرد ظن. ومن الامراض الفتالة التي كانت منتشرة انتشاراً قظياً بشكل وبائي اسهال الاطفال الصيني فكان يفضي على ألوف الاطفال وقد تناقص الآن كثيراً. ويمر البعض نقصانه الى تلاشي الذباب من المدن (في بلادهم لا بلادنا) بعد ان حلت السيارات محل الحيل ولكن لم يبت في السبب بعد. ومن الاسباب المهمة لتحسن الصحة نقصان تماطي المكروبات. وفي هذا النقصان اسرار اكثر مما ندرك في الوقت الحاضر ولكن نستطيع حتى الآن ان نمحزم بأن بعض الامراض الناشئة عنه قد قلت كثيراً بعد ان نجحت لجنة الانراف على المشروبات في حمل التسمب على الاعتدال في تماطي فندا الهذيان الرعشي الناشئ عن الكحول نادراً ومن المرجح ان شظراً من اسباب قلة سحق الاطفال في الفراش^(٢) يمزى الى هذا العامل مع ان حوادثه كانت كثيرة

والسبب الثالث لتلاشي بعض الامراض التحسن الكبير في التنظيم الصحي (Sanitation) والنظافة الشخصية. والفضل الاكبر لانكثرتا في قيادة حركة من الشرائع المتعلقة بالصحة العامة ويجب ان لا تنسى هذه البلاد (يقصد انكلترا) ما لبعض الشخصيات البارزة من انفضس العظيم في حمل المجلس النيابي على تصديق شرائع كهذه رغماً عن شدة المارضة. ولا نسمع الا انقليل عن هذه الشخصيات امثال Chadwick, Marchison, Simon, Alchband, Buchanan and Benjamin مع ان جهودهم الجبيرة هي التي أدت في الشطر الثاني من القرن التاسع عشر الى هبوط الامراض هبوطاً هاملاً. ان انتشار اوبئة الهيضة الآسوية ساعد كثيراً في حمل المجلس النيابي على سن تشريع الصحة العامة لسنة ١٨٤٨ الذي كان حافزاً لتشريع النظف الصحي. لسنة ١٨٦٦. ومع ان التنظيم الصحي ابتدأ عدة سنوات قبل اكتشاف كوخ وكور الفصل فيه من الامور السلم بها في ذلك الوقت فانه ازداد زيادة عظيمة حينما تبين ان الجرثيم هي مصدر كثير من الامراض وان أغلبها ينتقل بواسطة الماء والهن الحليب. وما لا جدال فيه ان بعض الامراض

(١) نوع من فقر الدم يصيب النساء، وعلى الاعس حديثات النس

(٢) يقصد سحق الاملهات لاطفالهن ليلا وهم نائمون بجانيهن

قد زان تقريباً بسبب تحسين التنظيم الصحي كالمهضة الآسوية والبرداء والطاعون والحمى النشبية والتيفويد^(١) وآخر الحيات التي تلاشت هي الحمى التيفويدية وصارت الوفيات بها صدفه في بريطانيا وتبلغ ٤ بالمليون سنوياً ولا عذر لنا في هذا الوقت حتى على هذا المدد البسير من الوفيات بها ولناقت الآن الى ناحية اخرى من هذا الموضوع وهي عدد كبير من الامراض تقدمت معرفتنا بتشخيصها ومعالجتها والوقاية منها تقدماً عظيماً بفضل البحوث الطبية الحديثة . وقد تقدمت هذه المعرفة من ثلاث جهات بصورة تقريبية . فالنصف الاولى تشمل الامراض المتولدة من الحيوانات الاحادية الخلية Protozoa والبكتيريا والفيروس فنشأ من درسها فرع من فروع البكتريولوجي يعرف بالمناعة وآلت معرفة الاطباء المناعة التعلية والواسطية الى تخفيف وطأة بعض الامراض الجرثومية بعض الشيء كالحثاق والحمى الدماغية الشوكية والحصبة والحمى القرمزية . وقد رأينا ان الجدري تلاشت او قلت من عهد جزير بواسطة التطعيم الذي يولد مناعة ضدها وتبين حديثاً ان المصل المُسْتَع (المولدة فيه المناعة) للمأخوذ من دم ولد شني حديثاً من الحصبة اذا حن به ولد ممرض للعدوى بهذا المرض قلما ان لا يصاب وإما ان تكون الاصابة خفيفة . وما لم يكن الولد دون الثلاث سنوات عمراً او لسبب آخر خاص فان الطبيب لا يرغب في منع الحصبة بل يفضل اصابة خفيفة بها تولد مناعة ضدية . ولستطيع الحكم على نتائج هذه الطريقة الباهرة من تجارب نجد باحثي لندن فقد استعمل المصل المُسْتَع في ٣٩٩ ولداً بعد تعرضهم للحصبة فلم يمت منهم احد بينما مات ٥ بالمائة من الاولاد الذين اتخذوا ضابطاً فلم يفتحوا بالمصل الواقى . وآلت النتائج الحديثة في استعمال مضاد سموم الحمى القرمزية الى تقليل معدل الوفيات بها وتخفيف وطأة عواقبها الوخيمة

ان لتخفيف وطأة الحمى القرمزية والحصبة نتائجاً كبيراً في تقليل حوادث اصابات امراض الاذن الوسطى الثلاثة غضب الحصبة والحمى القرمزية لان عدداً كبيراً من اصابات الصمم في هذا البلاد^(٢) ناشيء من مرض الاذن الوسطى واذا لم يقع هذا الداء الضار فان مشكلة الصمم ستبقى . وقد استنبطت الطرق الآن لتخفيف تأثير هذين المرضين والسير عليهما يؤدي الى النتائج الحسنة وقد اكدت اضراراً اخرى من المعالجة للمعالجة الامراض المتولدة من الحيوانات الوحيدة الخلية وهو المعروف بالمعالجة الكيماوية Chemotherapy كالمسفرسان ومشتقاته الادوية التوعية في معالجة الزهري التي لا تنقل هذا المرض فقط بل تأثيراته الحصبة كذلك المجانين العام وأشباهه وقد حذر على الكيئين الذي يعد دواءً نوعياً للبرداء لدرجة ما، مستحضر الاثيرين^(٣)

(١) هذا في بلاده. نسي ان تكون سائرين على العرب (٢) وفي بلادنا أيضاً بدأنا من الحصبة القرمزية (٣) لم يذكر البلازموكين بجانب الاثيرين وتقدمت لاجل اننا لسنا نذكره اسمياً (العرب)

وستحضر بار ٢٠٥ في بدء الاصابات بمرض التوم

ان فئة الامراض الثانية الكبرى هي التولدة من اضطرابات لفرزات الداخلية فالقدم
(^٢) Myxedema and (^١) Creminism يشق باعطاء الثيروكسين وهو خلاصة الغدة الدرقية
والسكري بالانسولين وهزفة الحائط بال Parathrombone خلاصة الغدة المحاذية للدرقية ومرض
ادس من خلاصة الجزء القشري من الكنظر وفقر الدم الحثيث بخلاصة الكبد . وبما اتنا لا نستطيع
الاقاضة في اتممارات الطب الباهرة في هذه الناحية نرى ان لا بد لنا من توجيه النظر
الى اكتشاف حديث عظيم الشأن قام Dakin وزميله استخرجا خلاصة الكبد بصورة
سرفة او ما يقرب من ذلك وقفل هذه الخلاصة عجيب فان حقن ٠.٤ او ٠.٦ منها اسبوعياً يجمل
الضعيف الشاحب اللون قوياً نشطاً وقصيره في أسابيع قابلة مؤرد الحدين يحي حياة طبيعية
كغيره من الاصحاء . ولا يزال هذا الفرغ في تقدم مستمر وله مستقبل كبير وكل من له المام
بمخلاصات الغدد الجنسية كال androsterone , progestin , and asterin يدرك امكان تقدم
هذا الفرغ غير المحدود

ان فئة الامراض الثالثة القابلة للمعالجة هي الامراض الضوائية . وقد عثروا اتناء البحث
في هذا الموضوع على الفيتامين الذي هو من العوامل الاساسية في منقعة الضياء فعزلت مواده
وعرف تركيبها وصرنا نعرف بفضل هذه النتائج كثيراً عن بعض الامراض كالسكران ونخر
الاسنان وقابلية السدوى ومرض الاسكريوط والبري بري وغيرها من الاضطرابات
الجسدية كالتمس بالترمس والرعدة الناشئة عن التسمم بالجودو (Eripot) ومن نتائج هذا
الفرع المهمة اتنا صرنا نعلم ان ليست الجرائم فقط سبب الامراض بل ان سبب بعضها نقص
او زيادة في بعض المواد الكيماوية الضرورية للجسم . ومع ان هذا السبب يعد حديثاً فالعلمون
على تاريخ الطب يعلمون ان هذه الفكرة ليست حديثة . ففي سنة ١٨٥٠ أدلى شاتان بنظرية
خلاصتها ان مرض الجوارز (الجحوظ) يتولد من نقص اليود وذكر حججاً بيينة في تأييدها . ومن
صفحات الطب السوداء المؤلمة ان المجمع العلمي الفرنسي رفض نظرية شاتان بعد ان دققها
لجنة من قبل المجمع واعادت النظر فيها عدة مرات واعتبرتها خطأ لان اجزاءها لم يصدقوا بأن
لهذا القسدر اليسير من اليود ذلك التأثير العظيم في احداث المرض او منعه . ولم تتحقق
نظرية شاتان وبصرها شأن يذكر الا سنة ١٨٩٥ حينما بين يومان ان في الغدة الدرقية معدن
اليود . والقائمة الوقائية اعمى شأناً من العلاج . صحيح اتنا نستطيع شفاء داء الاسكريوط
والبري بري بوصف الغذاء الملائم ولكننا نستطيع في الوقت عينه الوقاية منهما بالادوية على استعمال

التذاء المناسب لعدم الإصابة بهما. والتي قد تصه يصدق على مرض الكساح. وأودان أقول هنا كلمة عن موضوع الادوية الوقاية والثافية فإن الاطباء وعامة الناس لا يفقهون حقيقةها وأهميتها. ان الدواء الثافي عجيب في فعله لانه يزيل الداء حالاً ولا يستطيع المرء ان يندى مدى تأثيره اذا كانت مصاباً بمرض ما. اما المعالجة الوقائية الفعالة فانها تمنع حدوث المرض بناتاً ولا سيما اذا صارت متداولة وشتان بينها وبين الطريقة الاولى. فالثانية تسمح للمرض بينا الاولى إما ان تطيل الحياة وإما ان تخفف علامات المرض ولا سيما لأثره فيجب ان يكون هدفنا الوقاية من الامراض او القضاء عليها لا معالجتها ويتوقف نجاحنا في هذه الناحية على مدى معرفتنا اصل الداء ومنشأه. ومن الثبات التي تتعرض الاستقصاء العلمي لدرجة ما عدم توصلنا الى كنه حقيقة الامراض فاذا تمكننا من معرفة سببها سهلت الوقاية وسهل الشفاء وان لم يكن باستطاعتنا ذلك فقد تمكن من تخفيف الألم ولا نعرف او نعرف قليلاً عن سببه أو قد نعرف الشيء الكثير عن مرض ما ونجهل طرق الوقاية منه او شفاؤه. فثلاً قليلة هي الامراض التي نعلم عنها أكثر مما نعرف عن السرطان ومع ذلك لا نعرف إلا اليسير عن طرق الوقاية منه. اما معرفتنا عن شفاؤه فنصفر. وعكس ذلك السكري وفقر الدم الحديث فاننا نستطيع اتقاء ضررها بالانسولين وخالصة الكبد نتحسن حالة المصاب مع اتنا نجهل أو نعلم القليل عن سببها

وأود ان أقول الآن بضع كلمات عن مباحث طبية خاصة لا بين كيفية كشف السار عن سبب الامراض ومعالجتها ولان معرفتها هي التي ادت في هذه البلاد (بقصد انجلترا) حيث المواد الغذائية متوفرة الى ضلال الناس في حقيقة فهم الغذاء وتأثيره في الصحة. فقد ظن داء الكساح في انجلترا وسائر العالم التسدن قروناً ضربة قاضية ومع ان شدته صارت لسيماً نادرة في لندن فلا يزال منتشرراً في كثير من البلدان الصناعية في الشمال وسببه كما هو معروف نقص في كثير العظام يعرضها لمختلف التشوهات. وحتى سنة ١٩١٤ او ما يقرب من ذلك كانت النظريات مختلفة في سبب هذا المرض وعزوه الى أسباب صحية او معدية او افرازية او غير ذلك. فدائرة المعارف البريطانية مثلاً عزته في طبعة سنة ١٩١١ الى سموم تولد في القناة الهضمية واذا أراد اي شخص الآن ان يعرف سبب داء كهذا يتساءل هل كانت الحيوانات تعصاب به فاذا كان من الممكن احداثه فيما فيمكننا اجراء التجارب اللازمة والتوصل الى معرفة السبب ولكننا لا تمكن طبياً من اجراء تجارب كهذه على الانسان وأول ما يجب عمله في معرفة السبب ان نلم بالطريقة التي تمكننا من احداثه على الدوام في جراء الكلاب بمحض اختيارنا. ويمثل هذه التجارب عرفت ان بعض الاغذية تسببه وان تغييراً طفيفاً فيها يمنع. ومواد التذاء الاختباري كما يلي : —

لبن حليب مغروحة تشدته : ١٥٠ — ٢٥٠ م . م يومياً

دهن : (زبدة زيت الزيتون أو شحم أو زيت كبد الحوت) ١٠ غرامات

عصير البرتقال : ٥ من ٢٠ خبث : ٥ - ٢ من ٢٠

حبوب : (كالدقيق والارز والاذرة و...) ٢٥٠ - ٢٥٠ غرام حلم : ١٠ - ٢٠ غراماً
وقد وجدوا أن الكساح يحدث أو لا يحدث وفقاً للدهن الذي في الغذاء، فإذا كان فيه
دهن حيواني كالزبد أو زيت كبد الحوت فلا يتولد الكساح، وإذا اطعمنا جراء غيرها نفس
الغذاء ونوع زيت الزيتون أو زيت بزر الكتان أو شحم تولد فيها هذا الداء، واستنجوا من
هذه الاختبارات أن الضابط هو الدهن، فبعض أنواعه تسبب تصلباً في العظام كالزبدة وزيت كبد
الحوت وبعضها ولا سيما الزيوت النباتية تسبب رخاوة فيها فدعوا المادة التي هي العامل في الصلاة
والرخاوة (فيتامين) وتسمى الآن فيتامين D فهي التي تسبب صلابة العظام بتربيب فوسفات الكلس
فيها ولا تصلب العظام إذا كانت هذه المادة مفقودة رغم أن وفرة المواد الكلبة والفسفورية
فيها. فهذه المادة هي التي تثبت الكلس، ولستطيع تغيير نوع الحبوب لتجربة تأثيرها بإحداث
الكساح أو عدم إحداثه بنفس الطريقة فإذا أطعمنا جراء كلاب كل عناصر الغذاء الأساسية
بشرط أن لطم بعضها دقيقاً أبيض وغيرها شوفاناً oatmeal والبعض الآخر أرزاً ملح يظهر
الكساح بدرجات وفقاً لنوع الحبوب ومقدار فيتامين D الذي فيها فالتنبؤ به لا تسبب الكساح
والتي تحوي قليلاً منه تجعل الإصابة خفيفة وعلماً جراً، فالاذرة البيضاء مثلاً تولد بصورة شديدة
والدقيق والارز بدرجة أخف. فهذه التجارب تدل على أن ظهور الكساح لا يتوقف على نقص
الفيتامين D فقط بل على نوع الحبوب التي تؤكل، ومن الحقائق الثابتة أن الحبوب التي فيها
كلس ونفسور أكثر من غيرها كالاذرة البيضاء والشوفان oatmeal هي التي تولد أهدأ أنواع
الكساح بصورة أشد من المواد المحتوية على مقدار أقل منهما كالارز والدقيق الخ

أن هذه النتائج تدلنا على أن لا نكتفي بالتظريات بل على المرء أن يجرب بنفسه ليصل
إلى الحقيقة، وقد طبقوا هذه التجارب على الأسنان فظهر أن لتخرها علاقة بالغذاء، لأن المواد
التي تجعل العظام قوياً هي التي تثبت الأسنان السليمة، فيتضح لنا من هذه الدروس أن الحليب
وصفار البيض والخبث وزيت كبد الحوت والزبد هي العناصر التي تولد الأسنان الصحيحة بينا الحبوب
كالاذرة والشعير والخبث والارز وكل فئة الحبوب تثبت الأسنان المنيعة، وبما أن الرواحل
(أسنان الحليب) تظهر في كثير من الحيوانات في الدور الجنيني أو بعد الولادة بقليل فمن
البدهي أن تكون صحيحة إذا أطعمناها المواد الغنية بالكلس والفسفور والمكس بالعكس والثوابت
(الأسنان الدائمة) تظهر من بعد الولادة حتى سن البلوغ وتتوقف سلامتها أيضاً على نوع الغذاء،
ومن المعلوم أن أسنان أهل هذه البلاد (أكثرها) ليست صحيحة ومثناه أن غذاء الأولاد حتى

الحوامل ناضج بصورة عامة من وجهة صحة الاسنان . ويستطيع ان يتبا على وجه يقرب من الجزم ان نخر الاسنان ونحوها في الاسنان Pyorrhea سيطلقا ضربة على الامة مالم يتغير نوع الغذاء ولا يمكن القضاء عليها الا باعطاء الخليب والزبد وصفار البيض والحلين والحضر والفراكة الخاصة للاولاد . لقد أتيت على ناحيتين فقط من أهمية الغذاء مع ان مجال القول ذو سعة في هذا الموضوع . وقد أصبح من المعروف ان كثيراً من العيوب الجسدية والعقلية في هذه البلاد وغيرها يمكن تقليلها جداً بالتغذية الجيدة . الغذاء المذكورة وسيكون لهذه الوجهة من الطب الحديث الوافي تأثيرها في رفع مستوى صحة العالم .

لقد اكلت مهتي الآن واستعرضت تقدم الطب في مختلف الصور خاصة سرعة في الحسين السنة المتأخرة . وانتقدت الاقدمين في محاضرتي لبطئهم في الاهتمام بالامراض والاختفاء التي ارتكبوها انا عمداً وإنا سهواً . ومن الطريف ان نعرف نظر الناس فيما بعد آلاف السنين وحكمهم على ما توصلنا اليه . وعلى الأرجح انهم سوف لا يفكرون بقضية الامراض اذ من المحقق انها تصح نادوة جداً للدرجة ما وبصير المرء بمجهد فكره فيتذكر انتشار المرض الفلاني ولا يدان يقوم متعجب يبحث في سير الاولين وآدابهم فيرى اننا تأخرنا في تقدير الطرق التجريبية ويسخر من بطئنا كما يسخر من الذين قبلنا . لقد حاولت ان اورد بعض أسباب بطء الاقدمين في التوصل الى الحقائق التي توصلنا اليها اليوم . ومن الخطأ ان تقلبها كإنراها اليوم ولا تلتفت الى الجهود التي بذلها البشر في التوصل اليها فعلياً ان لا تملك بالانظريات . طلقاً دون التجارب . وسيعز يلسوف النقد المنقب عن آثارنا على كثير من الامور المستترة . وما لا شك فيه انه سينص على اصدقائه كيف كان الاطباء سواء عن اتاعهم الشخصي او بناء على طلب المريض يصفون سلسة من الادوية كالمخايل والفرغرات والمسايق . واذا كان سيسخر من هذه الامور فما احراء ان يسخر من هذه البلاد المتوفرة فيها المواد الغذائية الصحية ومع ذلك يحرم الكثيرون من أبنائها ما واعي بصورة خاصة اللبن (الخليب) . وبسبب حينما يعلم ان مصدر مقابض المضلات يستطيع مثلاً الحصول على مفادير كبيرة منه بسر الثالون الواحد بخمس بنات ينا لا يستطيع الحصول على نفس المقدار لتغذية الاطفال بأقل من شلنين وخمس بنات . وما لا ريب فيه ان هذه الحالة مؤفة وفي عرفنا فبذ الغذاء الصحيح أصبحت أسه راسخة وموخ التنظيمات الصحية والنظافة اليوم . فلا اكتشافات الصحية ترى في الوقت اخضر وهي تتقدم بخطوات سريعة والحقائق الطبية تتراكم يوماً فيوماً ولا حد لهذا التقدم حتى ان الموظف في الشؤون الصحية يصب عنه تتبع الطب الوافي — ويجدد بنا ان تعلم اننا في عصر الطب الذهبي وان صترف بالعلم التي تتسع بها اليوم